الحكم والمواعظ
في سورة يونس (دراسة بلاغية)

Judgment And Sermons In Surat Yunus

Rhetorical Study

بحث تقدمت به
م. د. أروى عبد الحميد محمود
By
Instuctor . Dr. Arwa Abdel Hamid Mahmoud

المستخلص

خصّ البحث سورة يونس بدراسة مواضع الحكم والمواعظ فيها من وجهها البلاغي لتميز هذه السورة بالحكمة والموعظة منها من جهة أنها سورة تجسدت فيها الحكم والمواعظ من أولها إلى آخرها، فكان العنوان : الحكم والمواعظ في سورة يونس دراسة بلاغية، وقد قسمت المحتوى بما يتناسب وهذا العنوان فجاء المطلب الأول :الحكم والمواعظ في أول السورة وخاتمتها. والمطلب الثاني: الحكم والمواعظ في قضايا السورة.

وجاءت الخاتمة متضمنة أهم ما بلغه البحث من نتائج توصلت إليها بوساطة التحليل البلاغي لمواضع الحكم والمواعظ ومنها كان للقصص القرآني ظهور في الثلث الأخير من السورة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهي الحكمة من ذكر قصة نوح مع قومه و موسى مع قومه، وسورة يونس معه قومه.، وختم البحث بقائمة للمصادر والمراجع التي استقت الباحثة منها لتثري الآراء وتدعم الطروحات التي في طيات هذا البحث

Abstract:

The research singled out Surat Yunus by studying the positions of judgment and sermons in it from its rhetorical aspect, in order to distinguish this surat with wisdom and sermons from it. It is a surat in which judgment and sermons were embodied from its beginning to its end. The first requirement: Judgment and exhortations at the beginning and end of the surat. And the second requirement: the ruling and preaching in the issues of it.

The conclusion includes the most important results that the research reached through the rhetorical analysis of the places of judgment and sermons. It includes the Qur'anic stories appearing in the last third of the surat for the amusement of the Prophet, peace be upon him, and it the wisdom of mentioning the story of Noah, Moses, and Yunus with their people. The research concludes with a list of sources and references that the researcher drew from in order to enrich opinions and support the propositions of this research.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد؛ فالحكمة في القرآن الكريم قضية ظاهرة فيه تتفرد أحيانا، وتقرن بالموعظة أحيانا أخرى، وذلك بما يناسب سياق الحدث، ومقتضى الحال، وقد خصّ البحث سورة يونس بدراسة مواضع الحكم والموعظة فيها من وجهها البلاغي؛ لتميز هذه السورة بالحكمة والموعظة منها من جهة أنّها سورة تجسدت فيها الحكم والمواعظ من أولها إلى آخرها؛ فكان العنوان: **الحكم والمواعظ في سورة يونس دراسة بلاغية**، وقد قسمت المحتوى بما يتناسب، وهذا العنوان، وقد تناولت في التمهيد الذي عنونته بـ(خصائص سورة يونس والتعريف بالحكمة والموعظة)، وجاء **المطلب الأول: الحكم والمواعظ في أول السورة وخاتمتها** وسأبدأ في اظهار ما في الفواتح من حكمة أو موعظة، ثم أعرج على الخواتم، واستنطق نصوصها للوقوف على ما فيها من الحكمة والموعظة أيضا، مسترشدة بالدرس البلاغي للكشف عن النفائس في النص القرآني الحكيم غير غافلة عن المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها. **والمطلب الثاني: الحكم والمواعظ في قضايا السورة.**

فالتقسيم الموضوعي يجعلني أتّبع المنهج الوصفي في عرض القضايا التي شكلت الحكمة والموعظة في آيات السورة المباركة، مردفة هذا العرض بالتحليل البلاغي للمواضع التي وردت فيها.

وجاءت الخاتمة متضمنة أهم ما توصلت إليه من نتائج في التحليل البلاغي لمواضع الحكم والمواعظ، وخُتم البحث بقائمة للمصادر والمراجع التي استقت الباحثة منها لتثري الآراء، وتدعم الطروحات التي في طيات هذا البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

التمهيد

خصائص سورة يونس والتعريف بالحكمة والموعظة

أولًا: سورة يونس وصفها وأحكامها

سميت سُورة يونس؛ لأنّها انفردت بذكر خصوصية لقوم نبي الله سيدنا يونس (عليه السلام)، أنّهم آمنوا بعد أن توعدهم نبيهم بنزول العذاب؛ فعفا الله عنهم لمَّا آمنوا، وتلك الخصوصية كرامة لسيدنا يونس (عليه السلام) وليس فيها ذكر له غير ذلك.

والراجح « أنّها أضيفت إلى سيدنا يونس تمييزاً لها عن أخواتها الأربع المفتتحة بـ﴿الٓرۚ﴾. ولذلك أضيفت كل واحدة منها إلى نبي أو قوم نبي عوضاً عن أن يقال: الآر الأولى و الآر الثانية . وهكذا فإنّ اشتهار السور بأسمائها أولَ ما يشيع بين المسلمين بأولى الكلمات التي تقع فيها وخاصة إذا كانت فواتحها حروفاً مقطعة فكانوا يدعون تلك السور بآل حم وآل ألر، ونحو ذلك »[1].

وهي مكية على قول الجمهور، وعن ابن عباس أنّ ثلاث آيات منها مدنية وهي قوله تعالى﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧﴾(سورة يونس: ٩٤ -٩٧) وعن مقاتل إلا آيتين مدنيتين هما: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ إلى قوله:﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٥﴾(سورة يونس: ٩٤- ٩٥). وفيه عن الكلبي أنّ آية واحدة نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى:﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ إلى ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤٠﴾ (سورة يونس: ٤٠) نزلت في شأن اليهود . وعدد آياتها مئة وتسع آيات، وهي مئة وعشر في عدّ أهل الشام[2].

ثانياً: الحكمة والموعظة في اللغة والاصطلاح .

الحكمة في اللغة: [حكم] الحُكْمُ: مصدر قولك حَكَمَ بينهم يَحْكُمُ، أي: قضى. وحَكَمَ له وحَكَمَ عليه. والحُكْمُ أيضاً: الحِكمَة من العلم. والحَكيمُ: العالم، وصاحب الحكمة. والحَكيم: المتقِن للأمور. وقد حَكُم بضم الكاف، أي: صار حكيماً[3]، فالحكمة تأتي في اللغة بمعنى: القضاء، والعلم، والإتقان .

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٧٨/١١ .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣٠٤/٨، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٧٨/١١، ٧٩ .

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (حكم): ٢٥٢ .

والحكمة في الاصطلاح: « إصابة الحق بالعلم، والعمل، فالحكمة من الله معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات، وفعل الخيرات بها»[١].

ويمكن تعريفها بأنّها: «معرفة الحقائق على ما هي بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما لها وما عليها المشار إليه بقوله تعالى:﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ سورة البقرة / ٢٦٩».[٢]

ولعل ما نميل إليه، ويتناسب مع دراستنا هو أنها: «علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية فهي علم نظري غير آلي»[٣].

أما الوعظ لغة فهو: النصح والتذكير بالعواقب[٤]، وفي الاصطلاح: «زجر مقترن بتخويف» [٥]، و «الوعظ والعظة والموعظة: تذكرتك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب»[٦]وقيل: «الوعظ: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب»[٧].

وقد تأتي الحكمة بمعنى الموعظة وهذا من لطيف اجتماعهما وسبب لظهورهما في سورة يونس، فهي: «بمعنى الوعظ والتذكير ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ سورة النساء / ٥٤، أي: المواعظ الحسنة»[٨]، وقد جمع القرآن الكريم بينهما في مقام الدعوة إلى الله في قوله تعالى:﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ سورة النحل / ١٢٥ .

- **المطلب الأول: الحكم والمواعظ في فاتحة السورة وخاتمتها .**

توطئة: تعريف الفواتح والخواتم .

إن مطالع السور القرآنية أو فواتحها يلاحظ أنّها تأتي بمحتوى «متعدد الأشكال مختلف الأساليب، واضح الدلالة على معانٍ دقيقة»[٩]، وقد عدَ الزركشي عشرة وجوه لفواتح السور كان الثاني منها للحروف المقطعة[١٠]

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: ٢٩١ .
(٢) ينظر: كتاب الكليات، أبو البقاء الكفوي:٥٩٦.
(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: ٢٩١ .
(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (وعظ): ١١٤٩ .
(٥) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٨٧٦
(٦) المخصص: ٤ / ٦٣ .
(٧) التعريفات: ٢٥٣ .
(٨) بصائر ذوي التمييز: ٤٩٠/٢ .
(٩) المدخل إلى علوم القرآن الكريم: ١٢٠
(١٠) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١/ ١٢٠ .

التي منها سورة يونس مدار بحثنا، وقد بدأت بمطلع (الٓرٰۚ) وفاتحتها الآيتان الأولى والثانية أما الخواتم فإنّها نقيض الافتتاح، وهي: «أن يختم البليغ كلامه في أي مفصل كان بأحسن الخواتم» (١).

وهو: حسن الانتهاء وحسن الختام في البلاغة العربية، ويكون هذا الاختتام مشعرًا بالتمام، والانتهاء؛ إذ هو آخر ما يبقى من النص في الاسماع، وربما حُفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به فهو كالوداع بعد اللقاء مؤذنا بالانتهاء بحيث لا يبقى تَشُّوقا لما قبله (٢).

ومن مكانة الخواتم أنّها «ينبغي لكل بليغ أن يختتم كلامه في أي مقصد كان بأحسن الخواتم فإنّها آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بها، فلا جرم وقع الاجتهاد في رشاقتها وحلاوتها، وفى قوتها وجزالتها، وينبغي تضمينها معنى تاما يؤذن السامع بأنّه الغاية والمقصد والنهاية ... فالخاتمة في كل شيء هي العمدة في محاسنه، والغاية في كماله»(٣).

والعلاقة بين الخواتم والفواتح بين الملفوظ والمضمون فهي «مثل الفواتح في الحُسن؛ لأنّها آخر ما يقرع الأسماع؛ فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف إلى ما يذكر بعد؛ لأنّها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ ووعد، ووعيد إلى غير ذلك، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة»(٤).

فالخلاصة أنّ خواتم السور كلّها كفواتحها في غاية الجودة، ونهاية الكمال، إذ اختُتمت على أحسن وجوه البلاغة وأفضل أنحاء البراعة، ما بين أدعية خالصة، وتحميد وتهليل وتسبيح، أو إيجاز لِما اقتضته السورة من تفصيل، ممّا يناسبه الاختتام، والإيذان للسامع بختم المقال وتوفّيه المرام، فلا يبقى مع تشوّف إلى إدامةٍ وتكميلٍ أو إتمام.

وقد جاءت الخاتمة في سورة يونس في ست آيات هُنّ من الآية ١٠٤ إلى الآية ١٠٩، ومن الجدير بالذكر أنّ « من أسرار القرآن مناسبة فواتح السور، وخواتمها»(٥).

وقد تضمنت سورة يونس في فاتحتها ما يناسب موضوع بحثنا، ففيها من الجذر (حكم) في قوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، فالحكيم «إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي والمراد من الكتاب

(١) المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د. إنعام فوال عكاوي: ٣٩.
(٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ٣/ ١٠٤، ١٠٦.
(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ٣/ ١٠٤، وينظر: بديع القرآن: ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ): ٣٤٣.
(٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (ت ٩١١ هـ): ١٨٣٣ .
(٥) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١/ ١٣٤ .

أحدهما، ووصفه بالحكيم؛ لاشتماله على الحِكَم أو لأنّه كلام حكيم»[١].

أمَّا الخاتمة فقد تضمنت هذه الاشارة اللفظية إلى الحكمة أيضا في الآية: (١٠٩) قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾ أي: أنَّه سبحانه و تَعالى: «خَتَمَ هذه الخاتِمة بِخاتِمة أُخرَى لَطِيفةٍ ... والمَعنَى أَنَّه تَعَالَى أَمَرهُ باتِّبَاع الوَحي وَالتَّنزِيل، فَإِن وَصَلَ إِلَيهِ بسَبَب ذلِكَ الِاتِّبَاعِ مَكرُوهٌ فليَصبِر عليه إِلى أَن يَحكُمَ الله فيه، وَهو خَيرُ الحَاكِمِينَ» [٢]، ومع هذه المناسبة اللفظية فقد تضمنت في دلالتها الموعظة للنبي صلى الله عليه وسلم أن اتباع الوحي يقتضي صبرا، مع ما يقتضي من ترابط لفظي بين الوحي والحكمة والوحي والموعظة، ففي أول السورة استفهام انكاري خرج إلى التعجب من الوحي في: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [٣]، وفي الخاتمة أمر باتباع هذا الوحي المتعجب منه في قوله: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ﴾، وسأعرض هنا لفنون البلاغة في فاتحة السورة وفي خاتمتها التي وظفها النص القرآني في سياق الحكمة، وسياق الموعظة، مبينة اقترانهما، أو انفراد كل منهما.

أولا: الحكمة والموعظة في فاتحة السورة:

جاءت الآيتان الأولى والثانية فاتحة لسورة يونس، وقد تضمنتا أساليب بلاغية في سياق الحكمة والموعظة، وهي على النحو الآتي:

١- الابهام: الحروف المقطعة (الر) سواء علمنا أنّها تحد للعرب، أم أنّها اسم للسورة، أم كانت قسما من الله تعالى، أم هي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم[٤]، يبقى من بين ما يسلم به أنّه لا بد من حكمة لورودها، والذي أميل إليه أنّ باعث التدبر المأمور به في هذا الاختلاف، هو حكمة غير مُصرّح بها تضمنها القصد العام من النص الحكيم.

وجاءت بلاغة الأحرف المقطعة مع ما تضمنته من حكمة في طلب دلالتها بإبهام، و «المعنى المقصود، إذا ورد في الكلام مبهما؛ فإنّه يفيده بلاغة، ويكسبه إعجابا وفخامة؛ وذلك لأنّه إذا قرع السمع على جهة الإبهام، فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب»[٥].

٢- تعريف المسند إليه بالإشارة (تلك) في قوله تعالى ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾، ومجيء تعريف المسند إليه بالإشارة «للتنبيه إذا ذُكِر قبل المسند إليه مذكورا وعُقِّب بأوصاف، على أن ما يرد بعد

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ١٠٤، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٤٩، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٨٠/١١.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٧/ ٣١١.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٣/ ١٠٤

(٤) ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري: ١٨٢ -١٨٤.

(٥) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:٢/ ٤٤ وينظر: التحرير والتنوير: ١١ /٨٢.

اسم الإشارة المذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف»[١] والذي جاءت الإشارة إليه في هذه الآية هو أحد ثلاثة: إما القصص والأخبار في الكتب السابقة للقرآن التي سمعها العرب، أو هي إشارة إلى تلك الآيات التي ذكرت في القرآن قبل سورة يونس (عليه السلام)، أو هي إشارة إلى الأحرف المقطعة في أوائل السور التي سبق ذكرها ومنها التي ذكرت أول هذه السورة [٢] والحكمة المقصودة من هذا التعريف للمسند إليه بـ «الإشارة إما الحث على النظر في آيات القرآن؛ ليتبين لهم أنّه من عند الله، ويعلموا صدق مَن جاءهم به. وإما إقناعهم من الآيات الدالة على صدق النبي ﷺ بآيات الكتاب الحكيم، فإنهم يسألون النبي آية على صدقه»[٣] ففيها موعظة تتناسب، وما أُجْمِل من معانٍ في (الر) « وعليه فاسم الإشارة مبتدأ وآيات خبره. وإضافة آيات إلى الكتاب إضافة شبيهة بالبيانية، وإن كان الكتاب بمنزلة الظرف للآيات باختلاف الاعتبار، وهو معنى الإضافة البيانية عند التحقيق» [٤].

ويجوز أن تجعل الإشارة خبرا ويكون المبتدأ الحروف المقطعة في أول السورة؛ لأنّ فواتح السور المقصود من تعدادها التحدي بالإعجاز، ففي الخبر كشف لِمَا أُبْهِم من المعنى المراد من الأحرف المقطعة [٥].

٣- الاستفهام بالهمزة: في قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ ففيها «الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه. وأَنْ أَوْحَيْنا اسم كان، وعجباً: خبرها»[٦]، وهذا الانكار على من تعجب بغض النظر عن المتعجب سواء أكان البعث بعد الموت، أم إرسال الرسل من الله تعالى، ولا سيّما إرسال النبي صلى الله عليه وسلم [٧]، فهذا وعظ للمتلقين، وتنبيه للغافلين ألّا يكون شأنهم شأن من تعجب . وختم هذا الوعظ بالبشارة بقدم الصدق، وهي السابقة الحسنة التي قدّمها المؤمنون[٨]، وهو مناسب لتأكيد الموعظة، وترسيخها في قلوب أهل الإيمان، وترغيب من جاء بعدهم بقبول الموعظة؛ تحصيلا للبشارة .

ثانيا: الحكمة والموعظة في خاتمة السورة:

جاءت الخاتمة في هذه السورة المباركة من أول الآية الرابعة بعد المئة حتى تمام السورة [٩]، وفيها من

(١) الايضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٥٢ .
(٢) ينظر: زاد المسير: ٣١٤/٢ -٣١٥ .
(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /٨١ .
(٤) المصدر نفسه: ١١ /٨٢ .
(٥) ينظر: تفسير مبهمات القرآن: ١/ ٤٣ .
(٦) الكشاف: ٤٥٥ ، و ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /٨١ .
(٧) ينظر: لطائف الاشارات، القشيري: ٧٧/٢ .
(٨) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي: ٢/ ٤٠٩ – ٤١٠ .
(٩) ينظر: في ظلال القرآن: ١٨٢٤/٣.

المواعظ والحكم ما يمكن بيانه فيما يأتي مع بيان الاغراض البلاغية التي وظفت في سياق هذه الحكم والمواعظ للوقوف على خصائص النظم القرآني فيها، وهي:

١. التنبيه بالنداء: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يأتي النداء للتنبيه على أمر مهم ففيه طلب لإصغاء المخاطب[١] وفي الخاتمة جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، أي: يا أهل مكة إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي وصحته وسداده، فهذا ديني فاسمعوا وصفه، واعرضوه على عقولكم، وانظروا فيه بعين الإنصاف؛ لتعلموا أنّه دين[٢]، فالنداء العام للناس يقتضي أنّ أمرا ما يسترعي الانتباه، وهو سياق يليق بالوعظ بعده؛ لذا جاءت الآية بعد النداء بمقارنة وشروط، وهي:﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ هذا الشرط، والمقارنة معقودة بحرف الاستدراك (لكن)، ولكن أعبد الله، وكان يكتفي بهذه اللفظة لكن المقام مقام وعظ؛ فجاء وصف الله عزّ وجلّ بـ (الذي يتوفاكم) «فإن قيل: لم قال: الذي يتوفاكم ولم يقل: الذي خلقكم ؟ فالجواب: أنّ هذا يتضمن تهديدهم؛ لأنّ ميعاد عذابهم الوفاة»[٣].

وقد وردت الصيغة (يا أيها الناس) في الخاتمة مرة أخرى في الآية الثامنة بعد المئة سياقها واحد، فقد تقدمها فعل الأمر (قل)، وهو طلب للنبي ﷺ مباشر بالوعظ، والارشاد «قد جاءكم الحق، فلم يبق لكم عذر، ولا على الله حجة... وفيه حثّ على إيثار الهدى واطّراح الضلال؛ مع ذلك وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلى أمركم وحملكم على ما أريد، إنما أنا بشير ونذير»[٤]، فقد جمع في الآية الكريمة بين الوعظ والحكمة؛ فالوعظ فيها بيان أنّ الحق يجب أن يتبع، وقد جاءت الحكمة ضمن هذا الوعظ، ومندرجة فيه؛ إذ إنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾، أي: «قد جاءكم الحق فلم يبقَ لكم عذر، ولا على الله حجة، فمن اختار الهدى، واتباع الحق فما نفع باختياره إلّا نفسه، ومن آثر الضلال، فما ضرّ إلّا نفسه، واللام وعلى: دلا على معنى النفع، والضر. وَكَلَ إليهم الأمر بعد إبانة الحق، وإزاحة العلل»[٥]، فهذه من الحكم العظيمة في الجزاء فالهداية لنفس المهتدي والضلالة على نفس الضال، وقبول مثل هذا عرفا يمدّ الموعظة التي تضمّنتها بقبول عام .

---

(١) ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د. إنعام فوال عكاوي: ٦٦٣.

(٢) الكشاف: ٤٧٥ .

(٣) زاد المسير: ٣٥٣/٢ وينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ / ٣٠١.

(٤) الكشاف: ٤٧٦.

(٥) المصدر نفسه: والصفحة نفسها .

٢. التوجيه والإرشاد بأسلوب الأمر: جاءت صيغ عدة للأمر في خاتمة هذه السورة المباركة، وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام[١]، بفعل الأمر في خمسة مواضع في الآية الرابعة بعد المئة، والآية الثامنة بعد المئة بالفعل (قُلْ)، وفي الآية الخامسة بعد المئة بالفعل (أَقِمْ)، وفي الآية التاسعة بعد المئة الفعلين (اتَّبِعْ، اصْبِر)، والأمر يخرج لأغراض مجازية منها التوجيه و الإرشاد [٢]، وصيغة الأمر جاءت بالجذر: (قول) وهذا الفعل يقتضي مقول القول الذي جاء في الموضعين: (ياأيها الناس) فهذا السياق الإرشادي جاء ممهدا للوعظ . «وافتتاحها بـ(قل) للتنبيه على أنّه تبليغ عن الله تعالى فهو جدير بالتلقي. وافتتاح المقول بالنداء لاسترعاء سماعهم لأهمية ما سيقال لهم، والخطاب لجميع الناس من مؤمن وكافر، والمقصود منه ابتداء المشركون؛ ولذلك أطيل الكلام في شأنهم، وقد ذكر معهم من اهتدى تشريفا لهم»[٣].

ثم توالت الأفعال: أقم، واتبع، واصبر وهي أوامر مباشرة للنبي ﷺ وقد تضمنت حكمة في أنّ النبي ﷺ مأمور بما يأمر به من إقامة الشريعة واتباع القرآن الكريم وتعاليمه، ثم هو مأمور بالصبر على هذا الاتباع، والأمة مأمورة بعده بما أمر به ﷺ « ولا يخفى ما في هذه الآيات من الموعظة الحسنة، وتسلية النبي ﷺ ووعد المؤمنين والوعيد للكافرين»[٤] .

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الصيغة المعجمية للجذر (أمر) وردت في خاتمة السورة أيضا وهي تأكيد لما سيؤمر به ﷺ، وقد جاءت أولا في صدر هذه الخاتمة قوله تعالى:﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴿١٠٤﴾﴾؛ لأنّ المعنى: «وأمرت أن أقم وجهك، وفيه قولان: أحدهما: أخلص عملك. والثاني: استقم بإقبالك على ما أمرت به بوجهك»[٥].

١- التوجيه بأسلوب النهي: الذي هو طلب الكف، والترك على وجه الاستعلاء، والإلزام[٦]، ورد في خاتمة السورة في الآيتين الخامسة، والسادسة بعد المئة، وهما نهيان صريحان للنبي ﷺ، الموضع الأول جاء مؤكدا بنون التوكيد الثقيلة في قوله تعالى﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾(ولا تكونَنَّ)، والثاني جاء مجزوما بحذف حرف العلة (ولا تدعُ)، وهذان النهيان فيهما وعظ وتوجيه للأمة؛ لأنّ المقصود بالخطاب ليس النبي ﷺ وحده إنما «الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ

(١) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة، القزويني: ١٦٠، علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٧٥ .
(٢) ينظر: معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ٤/ ٣٠، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: ٢٢٢.
(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /٣٠٨ .
(٤) روح المعاني، الآلوسي: ١٨٨/٦ .
(٥) زاد المسير: ٣٥٣/٢، وينظر: روح المعاني، للآلوسي: ١٨٤/٦ .
(٦) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة، القزويني: ١٦٢ المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني:٦٦٨ - ٦٦٩.

والمراد به أهل دينه لا تظاهروا الكفار، ولا توافقوهم»[١]، وهذا نوع من الوعظ بليغ تضمن حكمة هي: أنّ الوعظ عند توجيهه بصيغة الخطاب المباشر لمن كلف بالدعوة، وارشاد الناس يجعل من تبعه أشد حرصا على الكف عن هذا المنهي، ويكون من خالفه أقرب إلى قبوله منه؛ لأنّه لم يستثنِ نفسه مما نهي عنه .

٢- التنزيه والتوجيه بأسلوب النفي: الذي هو الإخبار عن ترك الفعل في الماضي[٢]، وقد ورد في خاتمة السورة المباركة بأكثر من طريق؛ ليحقق موعظة تناسبت بمضمونها مع الأوامر في السياق ذاته، فالموضع الأول في الآية الرابعة بعد المئة قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وفي الآية السادسة بعد المئة كان الموضع الثاني والثالث في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾، وفي الآية السابعة بعد المئة ورد النفيان الرابع والخامس، في قوله تعالى:﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾، و﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾، وجاء الموضع السادس في الآية الثامنة بعد المئة، وهو قوله تعالى﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨﴾ فالموضع الأول نفى عبادة دون الله عن النبي ﷺ، وقد ورد بصيغة التكلم، فالفعل المنفي مضارع والمسند إليه هو الضمير المستتر (أنا)، والجملة كلها وقعت في جواب شرط (إن كنتم في شك من ديني)، ووجهة هذا الوقوع الإخبار عن الدين وليس الجواب عن الشك منهم، « وجعل هذه الجملة باعتبار مضمونها جوابا بتأويل الأخبار، وإلّا فلاترتب لها على الشرط بحسب الظاهر، فالمعنى إن كنتم في شك من ذلك فأخبركم أنّه تخصيص العبادة به تعالى، ورفض عبادة ما سواه من الأصنام وغيرها مِمّا تعبدونه جهلا»[٣].

وهذا التأويل في جملة جواب الشرط على أنّه اخبار من شكَّ بالإسلام جانبها الوعظي ظاهر، فقد نفى عن نبيه ﷺ وقوعه في عبادة غير الله تعالى وهذا مقابل للشرك الذي وقع، وليس للشك في دين النبي ﷺ وهذا اللين في الجواب مقامه الرفق بالناس في دعوتهم إلى الله .

الموضع الثاني، والثالث في قوله تعالى:﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ﴾ جاءت هذه الجملة بعد النهي (ولا تدعُ) للإعلام بأنّ إرادة الله سبحانه وتعالى النفع لأحد، أو الضر لأحد، لا يستطيع غيره سبحانه أن يوقع هذا النفع أو صرف الضر أو كشفه .[٤]

وقد جمع بين نفي النفع وقدمه، وبين نفي الضر، وهو مراد فالنفي عن وقوعهما يقتضى عدم دعوة من لا ينفع ولا يضر، والحكمة من جمعهما أنّ الدعاء قد يقع مِمّن ينفع ولا يضر، أو لا ينفع لكنه يضر، أما أن يكون لا ينفع ولا يضر فالحكمة ترك دعائه.

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي: ٢/ ٥٤٨ وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣٨٨/٨.
(٢) ينظر: التعريفات: ٧٤ .
(٣) روح المعاني، الآلوسي: ١٨٤/٦ .
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٣٠٩/١٧، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /٣٠٥ .

والنكتة في الموصول الواقع مفعولا به (ما): «لأنّ الموصول في قوله: ما لا ينفعك ولا يضرك يومىء إلى وجه النهي عن دعائك، إذ دعاء أمثالها لا يقصده العاقل»(١)، ووجه عطفها على الجملة السابقة؛ لما بينهما من تغاير في المعنى بالتفصيل والزيادة، وبصيغتي العموم في قوله: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ وفي قوله:﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ الداخل فيهما أصنامهم وهي المقصودة(٢).

أمّا الموضعان الرابع والخامس، فاقتضيا المطابقة من جهة الألفاظ والنفي مع النفيين قبلهما(٣)، وفيهما تعظيم لله عزّ وجلّ الذي بيده سبحانه وتعالى إيقاع النفع، ورفع الضر «ما لا ينفعك ولا يضرك، فأخر الضر، ناسب أن تكون البداءة بجملة الشرط المتعلقة بالضر، وأيضا فإنّه لما كان الكفار يتوقع منهم الضر للمؤمنين والنفع لا يرجى منهم، كان تقديم جملة الضر آكد في الإخبار فبدىء بها»(٤)، والسياق الذي ورد به النفيان في قوله تعالى: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾، و﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ حكمته الظاهرة هي أنّ: « الضر نتيجة لازمة لسنة الله الجارية حين يتعرض الإنسان لأسبابه والخير كذلك، فإن مسك الله بضر عن طريق جريان سنته، فلن يكشفه عنك إنسان إنّما يكشف باتباع سنته «(٥).

الموضع الأخير، وهو قوله تعالى:﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ وقد جاء هذا النفي في سياق قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ وهذا النفي فيه تبرئة للنبي ﷺ من كل دعوى باطلة، يُدَّعى فيه منزلة غير التي أنزله الله له .

وقد جاء السياق «فيه حث على إتيان الهدى واطراح الضلال مع ذلك، وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إليّ أمركم وحملكم على ما أريد، إنما أنا بشير، ونذير»(٦)، والحث على الهدى، وترك الضلالة موعظة منه سبحانه للناس كافة .

- **المطلب الثاني: الحكم والمواعظ في قضايا السورة .**

بنيت السورة المباركة مضامين لقضايا كبرى تتجلى للمتدبر في آياتها، وقد كشفتُ عن أبرزها في هذا المطلب، وكانت ثلاث قضايا هي قضية الإيمان بالله، والثانية قضية الآيات الكونية، والأخيرة قضية قصص

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /٣٠٤ .
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١١ /٣٠٥ .
(٣) ينظر: البحر المحيط: ١١٣/٦ .
(٤) المصدر نفسه: ١١٣/٦ .
(٥) في ظلال القرآن: ١٨٢٥/٣ .
(٦) البحر المحيط: ١١٤/٦ .

الأنبياء، وقد عرضتها على النحو الآتي:

- **القضية الأولى: قضية الإيمان بالله.**

إنّ من أكبر القضايا، وأعظمها شأنا هي قضية الإيمان، وقد جاءت في السورة بارزة في سياقات متنوعة، تضمنت هذه السياقات حكما، ومواعظ كان الإيمان هو محورها، وقد رأيت أن أعرض هذه القضية على وفق ورودها في السورة:

ورد في السورة المباركة ستةٌ وعشرون موضعا[١] خصت ألفاظ الإيمان سواء أكانت أفعالا أم أسماء، والذي تُعْنَى به دراستنا هو الإيمان في سياق الحكمة، والموعظة، وقد تصطحبان في هذا السياق، وقد تنفرد الموعظة دون الحكمة به ومن أبرز هذه المواضع .

الموضع الأول: قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩﴾ جاء الايمان مطلقا لكن من السياق يتبين أنّ المراد الايمان بالله مقرونا بالعمل الصالح[٢]، وقد جاء بجملة مؤكدة بـ (إنّ) والذين اسم موصول في محل نصب اسم إنّ وخبرها الجملة الفعلية (يهديهم ربهم)، والحكمة في عطف الفعل (عملوا) على الفعل (آمنوا) صلة الموصول .

إنّ العمل من الإيمان، وإن كان الايمان هو الأسبق إلى القلب والجوارح؛ بدليل أنّ (يهيدهم ربهم بإيمانهم)، فإن كان الكلام على القطع والوقف عن هذه الجملة [٣] فالإيمان هو سبب الهداية ومن هذه الهداية التوفيق للعمل الصالح [٤]. أمّا الموعظة المرافقة لهذه الحكمة فجاءت في تتمة الآية الكريمة؛ إذ قال تعالى:﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، وعظ بالترغيب فيما عند الله لمن آمن وعمل صالحا، وهو مجاز عقلي[٥] إذ نسب الجري إلى الأنهار وحقيقته أنّ الماء هو الذي يجري، وهذا توظيف لهذا الغرض البلاغي في زيادة الترغيب في هذا النعيم .

الموضع الثاني: قال تعالى:﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

---

(١) ينظر: الألفاظ الخاصة بـ (آمن) في الآيات: ٢، ٤، ٩، ١٣، ٣٣، ٤٠، ٤٠، ٥٧، ٦٣، ٧٤، ٧٨، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٠، ٩٦، ٩٨، ٩٨، ٩٨، ٩٩، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٣، ١٠٤ .

(٢) الكشاف: ٤٥٧.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٧/ ٢١٤ .

(٤) ينظر: الكشاف: ٤٥٧ .

(٥) ويكون في الإسناد، أي: في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له. ويسمى المجاز الحكمي، والإسناد المجازي، ولا يكون إلا في التركيب، علم البيان: عبد العزيز عتيق: ١٤٣.

رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وفي هذا الحوار القرآني حجاج بين النبي ﷺ، وبين الكفار، وهو حجاج اعتمد على العقل، فجاءت الحكمة في طيّات الموعظة التي بدأت بفعل الأمر (قل)، وهو طلب مباشر لموعظة الناس وردهم إلى عقولهم؛ ليتفكروا فيؤمنوا، فسؤالهم عن الذي يرزقهم، والذي يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت والميت من الحي ومن يدبر الأمر خطاب يحتاج لجواب «فسيقولون الله؛ لأنّهم خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله، فكان في ذلك دليل توحيده» [١].

وبعد أن ذكر الاعتراف بما يعجز عنه غير الله جاء الاستفهام تقريريا توبيخيا[٢] في «معنى أفلا تتقون: أفلا تخافون عقوبة الله في افترائكم وجعلكم الأصنام آلهة؟ وقيل: أفلا تتعظون فتنتهون عن ما حذرت عنه تلك الموعظة»[٣] .

والاستفهام في هذا الحوار القرآني هو أبرز الأساليب البلاغية، وقد وظف للوعظ من إقرار للمخاطبين وتهديد لهم، والعلة في أنّ «الاستدلال بطريق الاستفهام والجواب؛ لأنّ ذلك في صورة الحوار، فيكون الدليل الحاصل به أوقع في نفوس السامعين، ولذلك كان من طرق التعليم مِمّا يراد رسوخه من القواعد العلمية أن يؤتى به في صورة السؤال والجواب»[٤]،ثم إنّ للموعظة عن طريق السؤال لها وقع في النفوس وأثر في القبول أكبر من تلك الموعظة الجلية، و «الكلام إذا كان ظاهرا جليا ثم ذكر على سبيل الاستفهام وتفويض الجواب إلى المسؤول، كان ذلك أبلغ وأوقع في القلب»[٥].

والمحاججة قائمة على العقل لبيان الحكمة، فبعد عرض ما هو من قدرة الله وحده جاء الرد عليهم بأنّ الحكمة تقتضي أنّ الحق هو الله، وكلّ ما سواه هو الباطل: «قوله تعالى:﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ أي: هذا الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم الحق، لا ما أشركتم معه.﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾، (ذا) صلة أي ما بعد عبادة الإله الحق إذا تركت عبادته إلّا الضلال. وقال بعض المتقدمين: ظاهر هذه الآية يدل على أنّ ما بعد الله هو الضلال؛ لأنّ أولها «فذلكم الله ربكم الحق» وآخرها ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾[٦]، والذي يظهر أنّ

(١) زاد المسير: ٢/ ٣٢٩ .
(٢) ينظر: البحر المحيط: ٥٢/٦ .
(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /١٥٥ .
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٧/ ٢٤٨ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ٣٣٥/٨ .

توظيف الاستعارة قد جاء متناسقا مع الحكمة المقصودة، فوقع (الحق) وهو استعارة تصريحية[١]، والمراد الإيمان بالمقابل هو (الباطل)، فيكون استعارة تصريحية عن الكفر، فليس بعد الإيمان إلّا الكفر، وكفى بها موعظة أن يكون الحق ليس بعده إلّا الباطل.

والموعظة بإلزام الحجة ظاهرة في سياق الآية الثانية والثلاثين وبأسلوب الاستفهام الذي خرج للتعجب من حالهم[٢]، فقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ مراده: «أنّكم لما عرفتم هذا الأمر الواضح الظاهر فأنّى تصرفون، وكيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر»[٣].

وقد ختم هذا المقطع في الحوار القرآني بمحاجة الكفار، وجاء على وفق ختم الكلام ما يقع من الصد عن كل دليل ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾ تذييل للتعجيب من استمرارهم على الكفر بعد ما ظهر لهم من الحجج والآيات»[٤].

وجاء هذا التذييل بأسلوب التشبيه فـ«الكاف الداخلة قبل اسم الإشارة كاف التشبيه. والمشبه به هو المشار إليه، وهو حالهم وضلالهم، أي: كما شاهدت حقت كلمة ربك، يعني أن فيما شاهدت ما يبين لك أن قد حقت كلمة ربك عليهم أنّهم لا يؤمنون.»[٥]

الموضع الثالث: جاء في الايمان بالله فقد جاء بقوله تعالى:﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ إنَّ ارتباط اسم السورة بنبي الله سيدنا يونس (عليه السلام) هو ارتباط بالإيمان، فالحدث الأبرز الذي وقع من قوم سيدنا يونس هو الايمان قبل نزول العذاب، وقد تضمنت حكمة بالغة في أنّ الإيمان يدفع به العذاب في الدنيا والآخرة[٦].

وقد جاء أسلوب القصر لتمثيل الحكمة في قصر نفع الإيمان على قوم سيدنا يونس في أسلوب النفي والاستثناء فلولا بمعنى (لم) أو بمعنى (ما)[٧]، وهو قصر للموصوف (قوم يونس) على الصفة أو على ما

(١) هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه، علم البيان: عبد العزيز عتيق: ١٧٩.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢٦/ ٤٢٥ .
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٧/ ٢٤٧ ، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١٦٠/١١.
(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /١٦٠ .
(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /١٦٠ وينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٧/ ٢٤٨.
(٦) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٢٣٨/١ – ٢٣٩ .
(٧) ينظر: زاد المسير: ٣٥١/٢، ومفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٧/ ٣٠٣ ، البرهان في علوم القرآن: ٣٧٨/٤ .

تضمّن هذه الصفة (قرية آمنت)[١]، وقد تأتي دلالتها بمعنى(هلّا)، فـ«لولا هنا هي التحضيضية التي صحبها التوبيخ، وكثيرا ما جاءت في القرآن للتحضيض، فهي بمعنى هلّا. وقرأ أُبَي وعبدالله فهلّا، وكذا هو في مصحفيهما، والتحضيض أن يريد الإنسان فعل الشيء الذي يحض عليه»[٢]، وهو بهذا التحضيض[٣] يعظ من يخاطب بهذا الحدث من الناس أن يتبعوا خطوات هؤلاء القوم الذين أدركوا النجاة بالإيمان قبل وقوع العذاب .

في الآيتين التاسعة والتسعين والآية المئة يظهر أسلوبان بلاغيان هما التأكيد والتعميم وقد وظفا في الوعظ بأنّ الايمان ليس بالإكراه، وإنَّما هو بمشيئة الله وإذنه سبحانه، وحكمة هذه الموعظة أن يتذكر الإنسان أعظم النعم، وهي نعمة الإيمان، وأنّ الله خصّه بها . ولعل هذا المفهوم فسّره لنا التأكيد في بلاغته في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾، فلو نظرنا إلى التأكيد بـ(جميعا) [٤]مع ما في الموصول (من) من عموم فسبحانه لو شاء لم يستثن أحدا من هذا الإيمان، ليأتي الاستدراك بـ(لكن) ليتحقق الوعظ بأنّ المشيئة والإذن منه جل جلاله خصصت هذا العموم [٥].

أما ما يخصّ بلاغة الاستفهام وخرجوه إلى معنى مجازي، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾، فإن المعنى المراد من الهمزة التي للإنكار[٦]؛ إذ «إنّه لا قدرة لك على التصرف في أحد، والمقصود منه بيان أنّ القدرة القاهرة، والمشيئة النافذة ليست إلّا للحقّ سبحانه وتعالى»[٧].

وهذه حكمة ظاهرة في أنّ الإيمان ليس لأحد أن يكره الناس عليه حتى لو كان خاتم النبين وسيد المرسلين، وقد وردت هذه الحكمة في هذا السياق أدعى بقبول الموعظة فيه، فإيمان المخاطبين لو كان بالإكراه؛ لصدت القلوب عن الموعظة قبل الأسماع [٨] .

---

(١) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة، القزويني: ١٣٥، و المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني:٦٢١ - ٦٢٢.

(٢) البحر المحيط: ١٠٧/٦ .

(٣) ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ١٠٨ .

(٤) ينظر: زاد المسير: ٣٥٢/٢.

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٧/ ٣٠٤.

(٦) ينظر: الكشاف: ٤٧٤ .

(٧) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٧/ ٣٠٥ .

(٨) ينظر: في ظلال القرآن: ١٨٢١/٣ .

• **القضية الثانية: الآيات الكونية .**

إنّ ذكر الآيات الكونية [١] من خلق السموات والأرض تدبير الأمر بينهما [٢]، ونشأة الخلق وإعادته [٣]،والموت والحياة، وما يقابلها من الدنيا والآخرة، والشمس، والقمر[٤]،الليل والنهار،[٥] البر والبحر[٦]،وقد وظف في سياقه للوعظ لتضمّنه حِكَمًا توافقت مع السياق الذي وردت فيه، وذكر هذه الآيات من سمات القرآن المكي، ولعلنا لا نقف على كل هذه الآيات الكونية حتى لا يطول بنا المقام، ولكننا سنعرض لأبرز المواضع التي تجلّت فيها الموعظة، والحكمة في توظيف هذه الآيات .

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾، وهو خبر بلاغي نوعه طلبي؛ لأنّه أُكّد بمؤكد واحد، وهو الأسلوب الذي يأتي حين يريد المخاطب جوابا، وقد جاء الخطاب القرآني للكفار مؤكدا بـ (إنّ)[٧]،ووظف في النص خلق السماوات والأرض في نعت الرب جل جلاله وهذا الخلق من الآيات الكونية المعجزة للبشر، وذكر خلق السماوات والأرض فيه حكمة في «أنّ من كان قادرا على إيجاد هذا الخلق العلوي والسفلي العظيمين، وهو ربكم الناظر في مصالحكم، فلا يتعجب أن يبعث إلى خلقه من يحذر من مخالفته ويبشر على طاعته، إذ ليس خلقهم عبثا بل على ما اقتضته حكمته وسبقت به إرادته، إذ القادر العظيم قادر على ما دونه بطريق الأولى»[٨] .

ثم إنَّ لذكر الستة أيام حكمة قال عنها بعض المفسرين: «لا يَبْعُدُ أن يكون خلق الله تعالى السموات والأَرض في هذه المُدَّة المَخصُوصة، أَدخل في الِاعتِبار في حقّ بعض المُكلَّفين»[٩]، فالتحديد بالمدة قيد زماني يكون أدعى للقبول وأظهر للقدرة والإعجاز .

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: ٣٧/١.

(٢) ينظر: المواضع التي ذكرت فيها السماوات والأرض: الآيات: ، ٣، ١٤، ١٨، ٢٣، ٢٤، ٣١، ٥٤، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٨٣، ٩٩، ١٠١، .

(٣) ينظر: الآيات: ٤، ٣٤، ٥٦، ٦٧، .

(٤) ينظر: الآيات: ٥، .

(٥) ينظر: الآيات: ٦، ٢٧، ٤٥، .

(٦) ينظر: الآية: ٢٢.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١٥٩/٨، و ١١ /٨٧ .

(٨) البحر المحيط: ١١/٦ .

(٩) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٧/ ١٩٠ .

والحقيقة أنّ الموعظة جلية في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾، فتذكرون تتعظون[١] وفي الاستفهام بالهمزة تقريع[٢] يتناسب وحال الكفار من عدم إيمانهم وكفرهكم بالله الذي خلق السموات و الأرض «فإنّ أدنى التّفكُر، والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه»[٣]،وقد شكّلت مع الحكمة التي في ذكر الآيات الكونية من خلق السماوات والأرض، نسيجا خطابيا يحقق للمتلقي أعلى درجات القبول، فليس لإنكار قدرة هذا الإله الخالق للسموات والارض سبيل إلى قلوب المتلقين، وبهذا تقع الموعظة في قلوبهم موقعها، ويقع التقريع على الكافر بالله .

الموضع الثاني: جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾، وقد تضمن آيتين من آيات الله الكونية هما الشمس وجعلها ضياء، والقمر وجعله نورا، وفي هذا الجعل حكمة إلتبستْ بالحقائق العلمية لكل من الشمس والقمر والضياء أقوى من النور فالضياء ما يضئ الأشياء، والنور ما يبين فيخفى لأنّه من النار[٤]، أما تقدير القمر هذه المنازل فـ: «المعنى وقدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل، كقوله تعالى:﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾سورة يس /٣٩، والحساب حساب الأوقات من الشهور والأيام والليالي ذلك إشارة إلى المذكور، أي: ما خلقه إلّا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا»[٥].

وقد تكون الحكمة في أنّه سبحانه و تعالى ذكر في هذه الآية جعل الشمس ضياء والقمر نورا وأنّه سبحانه قدره منازل ليتحقق بها للمكلف معرفة السنين والحساب، فيمكنه تنظيم حياته من الأعمال الدنيوية والدينية، وإعداد مهمات الشتاء والصيف، وهذا أقوى في الحكمة في أنّ معرفة أحوال السنين والشهور المؤمن أولى بها من غيره [٦].

أمّا الموعظة من ذكر الشمس والقمر وجعلهما ضياء ونورا، فهو «لون آخر من الاستدلال على الإلهية ممزوج بالامتنان على المحجوجين به؛ لأنّ الدليل السابق كان متضمنا لعظيم أمر الخلق وسعة العلم والقدرة بذكر أشياء ليس للمخاطبين حظ في التمتع بها. وهذا الدليل قد تضمن أشياء يأخذ المخاطبون بحظ عظيم من

(١) ينظر: زاد المسير: ٣١٦/٢ والبحر المحيط: ١٢/٦ .
(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /٨٩ .
(٣) ينظر: الكشاف: ٤٥٦ .
(٤) ينظر: الكشاف: ٤٥٦، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢/ ٤١٠، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي : ٣٠٩/٨.
(٥) الكشاف: ٤٥٦ .
(٦) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٧/ ٢٠٧ .

التمتع بها وهو خلق الشمس»[١].

ولعلّ أبرز ما في هذه الآية من عظة أنّه سبحانه وتعالى جعل «جملة ﴿يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ مسوقة للامتنان بالنعمة، ولتسجيل المؤاخذة على الذين لم يهتدوا بهذه الدلائل إلى ما تحتوي عليه من البيان»[٢]،ووجه هذه الموعظة أنّ الذي يفصل الأشياء على وجه الكمال والتمام هو مقدم للمخاطبين أسباب الهداية فهم أولى بالقبول .

وقد ختم هذا المقطع بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾، وهو حلقة وصل بين الموضع الأول الذي ذكرناه سابقا، وهذا الموضع الذي نحن بصدده، وهو تأكيد لمضمونهما على طريقة البلاغة العربية في الطي والنشر[٣]، فقد ذكر سبحانه في الآية جعل الشمس ضياء والقمر نورا، وهو طي فجاء نشرها على غير الترتيب في هذه الآية، وفي ذكر اختلاف الليل والنهار فقدم الليل الذي يناسب القمر وقد ورد في الآية السابقة متأخرا وأخر النهار الذي يناسب الشمس، وقد ورد ذكرها في الآية السابقة مقدما .

والحكمة من هذا التأكيد، ومن تأكيد الاسناد بالحرف (إنّ) ثم تأكيد المسند إليه باللام، هو كشف المنكر من المخاطبين، فالخبر حين يؤكد بأكثر من مؤكد يقتضي أنّ المخاطب منكر أو منزل منزلة المنكر[٤]، ويسمى في البلاغة بالخبر الإنكاري؛ لأنّ المخاطب ينكر المعلومة، فكل هذه المؤكدات جاءت «لأجل تنزيل المخاطبين به الذين لم يهتدوا بتلك الدلائل إلى التوحيد منزلة من ينكر أنّ في ذلك آيات على الوحدانية بعدم جريهم على موجب العلم»[٥].

وقد خصّ المتقين في هذا الخطاب وذلك؛ «لأنّهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر»[٦] وهذه حكمة من تخير هذا اللفظ في هذا السياق القرآني .

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /٩٤ .

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /٩٦ .

(٣) ينظر: علم البديع: ١٧٥، والمعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د. إنعام فوال عكاوي: ٦٣٣، ويسمى أيضا: اللف والنشر ..

(٤) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة:٢٩ ، والمعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د. إنعام فوال عكاوي: ٥٥٤، ٥٥٥ .

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /٩٧ .

(٦) الكشاف: ٤٥٦ .

الموضع الثالث: قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴿٢٢﴾﴾، قد جاءت الحكم والمواعظ في هذا الموضع بسياق الآيات الكونية التي هي حالة البر وحالة البحر، لكن الذي سلط عليه النص القرآني الضوء هو البحر، على الرغم من أنّ الشائع في البيئة العربية هو البر، لكن التفصيل في حالة أهل البحر أدعى، ولا سيمّا في نقل صورة المضطر الذي لا سبيل له إلى النجاة .

وقد وظف النص القرآني أساليب بلاغية متنوعة لكشف الحكمة من وراء سياق هذا النص منها القصر، ومنها الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، والطباق.

أمَّا القصر[١] ففي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، «فالقصر المفاد من جملة: هو الذي يسيركم قصر ادعائي. والكلام مستعمل في الامتنان، والتعريض بإخلالهم بواجب الشكر»[٢] وهذه الحكمة المفادة من أسلوب القصر جاءت بأسلوب، وعظي بليغ ناسب المقام.

وقد جاء في هذا الموضع أسلوب بلاغي آخر هو الالتفات، ويعني: «العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول»[٣]فإنه في الكلام ينتقل من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب إلى غير ذلك من أنواع الالتفات، وقد يلقب بشجاعة العربية[٤].

وهذا الموضع جاء بالإلتفات من الخطاب إلى الغيبة بين (يسيركم) و(جرين بهم)،وهنا قد يعرض السؤال ما الحكمة من ورود العدول من الخطاب إلى الغيبة، «قلتُ: المبالغة، كأنّه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها، ويستدعى منهم الإنكار والتقبيح»[٥]،وقد يكون كما قال أبو حيان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ): «إنّ حكمة الالتفات هنا هي أنّ قوله: هو الذي يسيركم في البر والبحر، خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين، والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار، والخطاب شامل، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على

(١) القصر حقيقي وهو ما ينصب فيه النفي على كل ما عدا المقصور عليه، وغير حقيقي وهو: ما ينصب فيه النفي على بعض ما عدا المقصور عليه، وقد يقصد بالقصر المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور فينزل منزلة المعدوم، وهو ما يسمى الادعائي: ينظر: الايضاح في علوم البلاغة: ١٣٣ هامش رقم (١) منها .

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١ /١٣٥ .

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢/ ٧١ .

(٤) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢/ ٧١ والمعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: ٢٠٩.

(٥) الكشاف: ٤٦٠، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/ ١٣٤.

الشكر. ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع ... عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي»[١].

الطباق في كلمة (ريح) في قوله تعالى:﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، وهما ريح الرحمة وريح العذاب، والأصل أنّ الرياح للرحمة وقد استعملت ريح للعذاب إلا في مواضع وهذا من القليل في القرآن الكريم، فذكر ريح الرحمة بلفظ الإفراد [٢]،والحكمة من وراء مطابقة هذا اللفظ بين الخير والشر، وهو أنّ تمام الرحمة إنّما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها فإنّ السفينة لا تسير إلّا بريح واحدة من وجه واحد، فإن اختلفت عليها الرياح وتصادمت كان سبب الهلاك والغرق، فالمطلوب هناك ريح واحدة، ولهذا أكد هذا المعنى فوصفها بالطيب دفعا لتوهم أن تكون عاصفة بل هي ريح يفرح بطيبها[٣].

- **القضية الثالثة: قصص الأنبياء .**

ظهرت قصص الأنبياء في هذه السورة المباركة في الثلث الأخير منها وقد جاءت متأخرة في الذكر صراحة مسبوقة بإشارات إلى الأقوام السابقة التي تقتضي وجود أنبياء ولكنها غير صريحة، منها قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، «وما يأتي في ذلك من الحقائق العلمية والدقائق الكونية، ووصف أحوال الأمم، وأسباب فلاحها وخسارها، والموعظة بآثارها بشواهد التاريخ، وما يتخلل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم»[٤]، وقد وردت القصص في هذه السورة لثلاثة أنبياء[٥]هم: نوح وموسى ويونس، وقد اكتفيت بقصتي نوح ويونس عليهما السلام مستثنية قصة موسى لطولها، فهي ما بين الآيتين (٧٦-٩٣)؛ ولأنّها تستحق الإفراد بدراسة تستوعب ما تضمنته من حكم ومواعظ في القرآن الكريم كاملا. أمّا الحكم والمواعظ في قصة نوح وقصة يونس، فعلى النحو الآتي:

أولا: قصة نبي الله نوح (عليه السلام): من الآية ٧١ – ٧٤ .

جاء النص خطابا للنبي ﷺ بأمر مباشر (أتل) و التلاوة القراءة المتأنية[٦]، وهو في مقام الوعظ والإرشاد بعد ذكر الآيات العظيمة من خلق السماوات والارض وتدبير الأمر، وهذا الأمر هو طلب تلاوة الخبر العظيم

(١) البحر المحيط: ٣٣/٦ ، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣١٣/٣، .
(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٠/٤-١١ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠/٤-١١ .
(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١٤ /٢٥٣ .
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ١٧/ ٢٨٣ .
(٦) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٩/ ١٦٢ .

الذي وقع من نوح (عليه السلام) في دعوته، والحكمة من ذكر هذه القصة في النص الكريم هي: «أنّ الكلام إذا أطال في تقرير نوع من أنواع العلوم، فربما حصل نوع من أنواع الملالة فإذا انتقل الإنسان من ذلك الفن من العلم إلى فن آخر، انشرح صدره، وطاب قلبه ووجد في نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميلا قويا»[١]،وهذا من مناسبة الحال في دعوة الناس إلى الاسلام، فذكر قصة نوح، وما وقع لهم لحثّ المتلقين من أهل مكة بقبول الموعظة، والرضا بالدعوة، ولا سيمّا أنّ هذه القصة قد صرحت بمصير من لم يؤمن بما جاء به نوح (عليه السلام)، « وضرب مثالا لهم في أنّهم بحال هؤلاء من التكذيب فسيكون حالهم كحالهم في التعذيب، والخطاب في (فانظر) للسامع لهذه القصة، وفي ذلك تعظيم لِما جرى عليهم، وتحذير لمن أنذرهم الرسول، وتسلية له ﷺ »[٢].

وقد تضمنت هذه الموعظة من نوح إلى قومه حكمة في أسلوبها، فاستعمل أسلوب النداء في دعوتهم، وهم مخاطبون مباشرون له في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ﴾، وذلك؛ لأنّ النداء «إيذان بأهمية ما سيلقيه إليهم؛ لأنّ النداء طلب الإقبال. ولما كان هنا ليس لطلب إقبال قومه إليه؛ لأنّه ما ابتدأ خطابهم إلّا في مجمعهم تعين أنّ النداء مستعمل مجازا في طلب الإقبال المجازي، وهو توجيه أذهانهم إلى فهم ما سيقوله»[٣].

و إضافة نوح إلى القوم ونسبتهم إليه فيها تلطف بهم ومراعاة لحالهم وهذه من الحكم العظيمة في دعوة الناس أن يكون الداعي مخاطبا الناس بلسان من ينتمي إليهم و ينتمون إليه، «واختيار التعبير عنهم بوصف كونهم قومه تحبيب لهم في نفسه ليأخذوا قوله مأخذ قول الناصح المتطلب الخير لهم؛ لأنّ المرء لا يريد لقومه إلّا خيرا، وحذفت ياء المتكلم من المنادى المضاف إليها على الاستعمال المشهور في نداء المضاف إلى ياء المتكلم»[٤].

ثم من الحكمة التي تضمنتها هذه القصة وهي في سياق الموعظة القرآنية أنّ هذه الدعوة أي دعوة النبي ﷺ لقومه تشابهت مع دعوة نوح (عليه السلام)، فإنّها لا يتطلب دفع الأجر فيها في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾، وهي حجج عقلية حين تساق في موعظة ما تجعلها أكثر قبولا، فليس لإيمانهم ثمن يعطى للنبي المكلف بالدعوة .

وقد جاء الأمر في هذه القصة مرة أخرى للنبي ﷺ بفعل الأمر الصريح (انظر) في قوله: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴿٧٣﴾﴾، واستعمل الاستفهام (كيف) في الآية مع (كان) التي دلت على المضي حتى

(١) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير: ١٧/ ٢٨٢ وينظر: البحر المحيط:٦/ ٨٦، روح المعاني: ٦ /١٦٨.
(٢) البحر المحيط في التفسير:٦/ ٨٩.
(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١/ ٢٣٦ .
(٤) المصدر نفسه: ١١/ ٢٣٦ .

أصبح هذا الأمر، وكأنّه جبلة قد جبل عليها الكفار من عنادهم وصدهم عن سبيل الحق[١]وقد وقع هذا الأسلوب لحكمة تناسقت مع مقام الدعوة فالنظر في مصير الأمم السابقة أمر باهر يتعظ به من له بصيرة [٢].

وختم هذه القصة بأنّه سبحانه قد بعث من بعد نوح رسلا، والحكمة من ذكر هذا البعث وأنّهم رسل كثر، وأنّ نوحا (عليه السلام) لم يقصر في دعوته، وهذا البيان جاء بسبب طول مدة نوح في دعوة قومه، فقد يتوهم متوهم أنّه قَصَّر (عليه السلام) في تبليغ الناس؛ فضمّن هذا الخطاب القرآني حال الكافرين في كل زمن ﴿كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ﴾ وصيغ النفي بصيغة لام الجحود مبالغة في انتفاء الإيمان عنهم بأقصى أحوال الانتفاء. حتى كأنّهم لم يوجدوا لأن يؤمنوا بما كذبوا به، أي: لم يتزحزحوا عنه. ودلت صيغة الجحود على أنّ الرسل حاولوا إيمانهم محاولة متكررة[٣].

ثانيا: قصة نبي الله سيدنا يونس (عليه السلام) . ٩٨ .

جاءت هذه القصة في آية واحدة هي قوله تعالى:﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾، لا شك في أنّ توظيف النص القرآني له من الأهمية بحسب ما وظف له، فهذه الآية الكريم ذكرت القصة التي سميت السورة كاملة باسم صاحبها وهو سيدنا يونس النبي (عليه السلام)، موعظة بليغة لأهل مكة؛ لتشابه حالهم بحال قوم نبي الله سيدنا يونس (عليه السلام)[٤] .

و وردت الفاء في سياق الموعظة في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ﴾، وهي: «لتفريع التغليط على امتناع أهل القرى من الإيمان بالرسل قبل أن ينزل بهم العذاب ... والغرض من ذكر أهل القرى التعريض بالمقصود، وهم أهل مكة فإنّهم أهل قرية فكان ذلك كالتخلص بالتعريض إلى المخصوصين به، وللإفضاء به إلى ذكر قوم سيدنا يونس فإنّهم أهل قرية» [٥]، وجاء التحضيض متصدرا في الآية القرآنية في مقام الوعظ والإرشاد، «وأصل لولا في الكلام التحضيض، أو الدلالة على منع أمر لوجود غيره، ومفهوم من معنى الآية نفي إيمان أهل القرى، ثم استثنى قوم سيدنا يونس، فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع، وهو بحسب المعنى متصل؛ لأنّ تقديره ما آمن أهل قرية إلّا قوم يونس»[٦].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم:٤/ ١٦٦، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٩/ ١٦٦ .

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٩/ ١٦٦، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١/ ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١/ ٢٣٦ ، وينظر: روح المعاني: ٦/ ١٥٢ .

(٤) ينظر: الكشاف: ٤٧٤ و التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١/ ٢٩١

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١/ ٢٨٨

(٦) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ٣٣٨/٨، وينظر: البحر المحيط ١٠٧/٦، وفي ظلال القرآن: ١٨٢١/٣.

وقد جاء التنكير للفظة قرية في قوله تعالى﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾؛ لإفادة العموم الذي يتطلبه المعنى العام المراد من أنّه لم تنتفع قرية بإيمانها عند نزول العذاب إلا قوم يونس،وهذا النفي والاستثناء قصر الموصوف على الصفة في مقام الوعظ [١].

فقوم سيدنا يونس لمّا آمنوا كُشف عنهم العذاب، وهذا الكشف هو بمعناه المجازي «إزالة هنا مجاز في الرفع. والمراد: تقدير الرفع وإبطال العذاب قبل وقوعه، فعبر عنه بالكشف تنزيلا لمقاربة الوقوع منزلة الوقوع»[٢].

أمّا مجيء تحديد الكشف للعذاب في الحياة الدنيا؛ فلحكمة تتناسب مع المقام فإنّ الذي يقدر على كشف عذاب الدنيا يكون الإيمان به أحق ممّا لا يستطيع كشف شيء من عذابها «(في الحياة الدنيا) صفة لـ عذاب الخزي للإشارة إلى أنّ العذاب الذي يحل بالأمم الكافرة هو عقاب في الدنيا وبعده عقاب في الآخرة، وأنّ الأمم التي لم تعذب في الدنيا قد ادخر لها عذاب الآخرة» [٣].

ويمكننا استظهار الحكمة من قصة سيدنا يونس (عليه السلام) في أنّ السياق القرآني يناسب في هذا الذكر بين حال أهل مكة وقوم سيدنا يونس يونس (عليه السلام) من جهة أنّهم آمنوا قبل نزول العذاب، وأنّ حال قوم سيدنا يونس مثال فريد لم يقع من قوم قط فذكره في سياق الموعظة يضفي القبول على مضمونها، وأنّ الحكمة التي لا تخفى هي إرادة الامتثال لدعوة الأنبياء واتباعهم فيما يرشدون إليه الناس قبل وقوع العذاب .

(١) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١/ ٢٨٩، والمعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: ٦٦٥.
(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١/ ٢٨٩.
(٣) المصدر نفسه : ١١/ ٢٩١.

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرا والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، فهذه نتائج توصلت إليها الدراسة أدونها لعلها تضيء للمطلع الكريم طريقا؛ ليتسع عن طريقه في رياض العلم وقد نظمتها على النحو الآتي:

- الحكم والمواعظ تتواردان في سورة سيدنا يونس (عليه السلام) وقد تتفرد أحداهما بسياق خاص كما في ذكر الآيات الكونية .

- فاتحة السورة وخاتمتها بينهما مناسبة قوية في ذكر الحكمة في اللفظ والمضمون وقد علقت المطلب الثاني كاملا لإبراز ما بهما من حكم ومواعظ .

- تنوعت الأساليب البلاغية من استفهام ونداء وأمر ونفي وقصر ومجاز واستعارة، لتُوظف في سياقات متنوعة لتقوية عناصر الحكمة والموعظة التي جاءت في هذه السورة المباركة .

- برزت قضايا كبرى في السورة هي الإيمان بالله والآيات الكونية والقصص القرآني الخاص بالأنبياء مع أقوامهم .

- كان للقصص القرآني ظهور في الثلث الأخير من السورة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهي الحكمة من ذكر قصة نوح مع قومه و موسى مع قومه، ويونس معه قومه .

- كشف البحث الحكم والمواعظ في قصتي نوح ويونس عليهما السلام واستثنى قصة موسى (عليه السلام) لطولها في سياق السورة، فهي حقيقة ببحث مستقل يلفت العناية بالحكم من قصة نبي الله موسى والمواعظ التي تمدنا بها، وبهذا أوصي الباحثين من بعدي .

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين ...

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، د.ط، د.ت.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ ١، ١٤١٨ هـ.

٣- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، د. ط: ١٤٢٠ هـ.

٤- بديع القرآن: ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ)، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، د. ط، د.ت.

٥- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبية العصرية، بيروت - لبنان، د.ط، ٢٠١٢ م.

٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة، ١٩٦٣ م، ١٩٧٣ م، ١٩٩٢ م، ١٩٩٦ م.

٧- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٣١ هـ.

٨- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ضبطه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط/ ١٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩- تفسير مبهمات القرآن، أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي (ت ٧٨٢ هـ)، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط /١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

١٠- التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي(ت ١٠٣١هـ)،، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر, دار الفكر - بيروت , دمشق ط /١، ١٤١٠ هـ.

١١- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)،، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/ ٢، ١٩٦٤ م.

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني

الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ ١، ١٤١٥ هـ

١٣- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ .

١٤- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)،، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط/ ٣،٢٠٠٧م .

١٥- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللهِّ (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية – بيروت، ط/ ١، ١٤٢٣ هـ .

١٦- علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/ ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٧- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط/٣٥، ٢٠٠٥ م.

١٨- كتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفوي، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

١٩- الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، اعتنى بهه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط/١، ٢٠٠٢ م

٢٠- لطائف الإشارات، تفسير القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ط/ ٣، ١٤٣١ هـ .

٢١- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٢٢- المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن - حلب، ط/ ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط: ١، ١٤٢٠ هـ .

٢٤- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٥- المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د. إنعام فوال عكاوي، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط/ ٣، ٢٠٠٦ م .

٢٦- مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ ٣، ١٤٢٠ هـ .

٢٧- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية – لبنان د. ت، د. ط.

References:

1- Proficiency in the Sciences of the Qur'an, by Imam Al-Suyuti (d. 911 AH), investigation: Center for Qur'anic Studies, Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Islamic Affairs and Endowments, d.t., d.t.

2- The lights of revelation and the secrets of interpretation, Nasser Al-Din Abu Saeed Al-Baydawi (d. 685 AH), investigation: Muhammad Abdul Rahman Al-Mara'ashli, House of Revival of Arab Heritage - Beirut, i/1, 1418 AH.

3- The Ocean in Interpretation: Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer al-Din al-Andalusi (died 745 AH), investigation: Sidqi Muhammad Jamil, Dar al-Fikr - Beirut, d. I: 1420 AH.

4- Badi' al-Qur'an: by Ibn Abi al-Asba' al-Masry (d. 654 AH), presented and investigated by: Hafni Muhammad Sharaf, Nahdet Misr Library, d. I, d.t

5- The Proof in the Sciences of the Qur'an, Badr Al-Din Al-Zarkashi, achieved by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Al-Maktabiyah Al-Asriya, Beirut - Lebanon, Dr. T, 2012 AD.

6- Insights of People of Discernment in the Sects of the Dear Book, Majd Al-Din Abu Taher Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouzabadi (d. 817 AH), investigation: Muhammad Ali Al-Najjar, Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1963 AD, 1973 AD, 1992 AD, 1996 AD.

7- Interpretation of the Problem of the Qur'an, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutaiba Al-Dinori (d. 276 AH), investigation: Ibrahim Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1431 AH.

8- Definitions, Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zain Al-Sharif Al-Jarjani (d. 816 AH): seized by a group of scholars, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya Beirut - Lebanon, i / 12, 1403 AH - 1983AD.

9- Interpretation of the Ambiguities of the Qur'an, Abu Abdullah Muhammad bin Ali Al-Balancey (d. 782 AH), investigated by: Hanif bin Hassan Al-Qasimi, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut - Lebanon, i/1, 1411 AH - 1991 AD.

10- Detention on Definitions Tasks, Author: Muhammad Abdul-Raouf Al-Manawi, investi-

gation: Dr. Muhammad Radwan Al-Daya, Dar Al-Fikr Contemporary, Dar Al-Fikr - Beirut, Damascus, I/1, 1410 AH.

11- The Collector of the Provisions of the Qur'an, Abu Abdullah, Muhammad bin Ahmed Al-Ansari Al-Qurtubi, investigation: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atfayesh, Dar Al-Kutub Al-Masryah - Cairo, i/2, 1964 AD.

12- The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Repetitions: Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Hussaini al-Alusi (d. 1270 AH), investigation: Ali Abdel Bari Attia, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, i/1, 1415 AH

13- Zad Almasir in the science of interpretation, Jamal Al-Din Abu Al-Faraj Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad Al-Jawzi (d. 597 AH), investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, i/1, 1422 AH.

14- Al-Sahah, Ismail bin Hammad Al-Gohari, took care of him: Khalil Mamoun Shiha, Dar Al-Maarifa, Beirut - Lebanon, 3/3/2007 AD.

15- Al-Tariq for the Secrets of Rhetoric and the Sciences of the Miraculous Facts of Yahya bin Hamza bin-Ali bin-Ibrahim, Al-Hussaini Al-Alawi Al-Talibi, nicknamed Al-Mu'ayyad Allah (d. 745 AH), Aleunsuria Library - Beirut, i/1, 1423 AH.

16- Ilm Al-Maani, Abdul Aziz Ateeq (d. 1396 AH), Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, i/1, 1430 AH - 2009 AD.

17- In the Shadows of the Qur'an, Sayed Qutb, Dar Al-Shorouk, Cairo - Egypt, i/35, 2005 AD.

18- The Book of Colleges - by Abu Al-Baqa Al-Kafwa, A Dictionary of Terms and Linguistic Differences, authored by: Abu Al-Baqa Ayoub bin Musa Al-Husseini Al-Kafwi, investigation: Adnan Darwish - Muhammad Al-Masry, Al-Resala Foundation - Beirut - 1419 AH - 1998 AD

19- Al-Kashshaf, On the Facts of the Revelation and the Eyes of Gossip in the Faces of Interpretation, Abi al-Qasim Jarallah al-Zamakhshari (d. 538 AH) took care of him: Khalil Mamoun Shiha, Dar al-Maarifa, Beirut - Lebanon, i/1, 2002 AD

20- Custom, Abu Al-Hasan Ali bin Ismail bin Sayyida Al-Mursi (d. 458 AH), investigation: Khalil Ibrahim Javal, House of Revival of Arab Heritage - Beirut, i/1, 1417 AH 1996 AD

21- The Introduction to the Sciences of the Noble Qur'an, Muhammad Farouk Al-Nabhan, Dar Alam Al-Quran - Aleppo, I/1, 1426 AH - 2005 AD.

22- The signs of signs = Tafsir of Al-Qushayri Abdul Karim bin Hawazin bin Abdul Malik Al-Qushayri (d. 465 AH) Investigator: Ibrahim Al-Basiouni, the Egyptian General Book Authority - Egypt, i/3, 8 Dhu al-Hijjah 1431 AH.

23- Milestones of Revelation in the interpretation of the Qur'an = Al-Baghawi: Muhyi al-Sunnah, Abu Muhammad al-Husayn ibn Masoud ibn Muhammad ibn al-Fara al-Baghawi al-Shafi'i (died: 510 AH) investigation: Abd al-Razzaq al-Mahdi, House of Revival of Arab Heritage - Beirut, i: 1, 1420 AH.

24- Meanings of Grammar: d. Fadel Saleh Al-Samarrai, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution - Jordan, i/1, 1420 AH - 2000 AD.

25- The Detailed Lexicon in the Sciences of Al-Balaghah Al-Badi', Al-Bayan and Al-Ma'ani, d. In'am Fawal Akkawi, review: Ahmad Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut, Lebanon, 3rd edition, 2006 AD.

26- Keys to the Unseen called the Great Interpretation, Abu Abdullah Muhammad bin Omar Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, Khatib Al-Rayy (d. 606 AH), House of Revival of Arab Heritage - Beirut, 3rd, 1420 AH.

27- Vocabulary of the Words of the Qur'an, by Ragheb Al-Isfahani, investigated by: Safwan Adnan Daoudi, Dar Al-Qalam - Damascus, Al-Dar Al-Shamiya - Lebanon. T, d. i.